

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

موضوعات قرآنية - الدرس : 45 - يصعقون .

09-12-2001

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

لا تسمى فائزاً إلا إذا كنت مطيعاً لله مستقيماً على أمره:

أيها الأخوة، في آيتين من سورة الطور، الأولى:

﴿فَدَّرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾

[سورة الطور الآية: 45]

معنى يصعق أي خبر لا يحتمل، لعلني أوفق بمثل يبين معنى يصعق وهي قصة واقعية وقعت في هذا البلد: إنسان ضاق ذرعاً بالإقامة في هذا البلد، عنده معمل ضخمة، وبيت في أرقى أحياء دمشق، وعنده متجر في أهم أسواق دمشق، وعنده بيت في أرقى مصايف دمشق، فجمع وطرح وخطط لو أنه باع بيته وباع معمله وباع مركبته وباع بيته في المصيف، وجمع هذه المبالغ أودعها في بنك في بلد أوربي ووقتها كانت الفائدة ثمانية عشر في المائة، فوجد يأتيه دخل من مبالغه يعيش فيه ناعماً إلى آخر أيام حياته، أي عشرين ضعفاً عن حاجته، دخله من فوائد مبالغه فخطط بهدوء باع البيت ثم المتجر ثم بيت المصيف وآخر شيء باع سيارته والمبالغ حولها بصعوبة بالغة إلى بلد أجنبي، النتيجة القصة دقيقة جداً لكن الذي حصل أن هذه الأموال لا تودع في حساب رسمي باسمه إلا بوثائق فاضطر أن يضعها باسم صديق له ريثما يؤمن هذه الوثائق، أمن الوثيقة في اليوم التالي ذهب إلى صديقه ليحول له المبلغ قال له: لا يوجد لك عندي شيء، إنسان فجأة فقد كل ما يملك، ليس معه ثمن طعام، أليس هذا الخبر صاعقاً؟ إنسان في أوج حياته شعر بالآلام معينة عمل فحسباً فظهر معه مرض خبيث، هو يقرأ التقرير ماذا حصل له في جسمه؟ انتهى.

قال الطبيب لإنسان معه مرض خبيث: سوف تعيش أربعة أشهر فمات في ثاني يوم لم يتحمل الخبر، هذه في الدنيا والموت محقق ونحن جميعاً سوف نموت، ولا يبقى أحد على وجه الأرض، ومع ذلك عندما الإنسان يجد أنه سيلاقي عذاباً إلى أبد الأبدين الله عز وجل صاحب الجلال والكمال قال:

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾

[سورة البقرة الآية: 175]

لذلك: ما هو الفوز؟ يوجد مئات المقاييس للفوز، الفوز أن تزحزح عن النار هذا هو الفوز؟:

﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾

[سورة آل عمران الآية: 185]

لا الفوز أن تكون غنياً في الدنيا، الدنيا لها سقف مهما تكن غنياً استيعابك للطعام محدود ، تأكل وجبة طعام واحدة، تنام على سرير واحد، ترتدي ثياباً واحدة، بل أكاد أقول: إن التمايز في الدنيا هوامشه ضعيفة جداً، انت بإنسان يعمل في نقل الرمل، يمكن أقل عمل في الأرض، فاعل، هو جائع جداً صحن فول متفن يستمتع به كما يستمتع به ملك، وإنسان متزوج من امرأة يحبها يستمتع بها كما يستمتع بها ملك، فالفوارق بسيطة جداً لكن هناك مظاهر صارخة، قد تكون حنفية بيت بثمن بيت، ولكن بالنهاية تصب الماء، فحينما الإنسان يقع في معصية الله استحق العذاب الأبدي، لذلك قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

[سورة الكهف الآية: 103-104]

ماذا أقول لكم؟ قصر في رأس جبل يمكن أجمل قصر في العالم إنسان نازل منه ليشنق في مكان، وإنسان صاعد من هذا المكان ليسكن هذا القصر التقيا في نصف الطريق، الذي ينزل بأبهي مظهر، بأرقى مركبة، والذي هو صاعد يمشي حافياً فرضاً، التقيا في نصف الطريق تقول أنت: هنيئاً لمن -على العين- يركب هذه المركبة أما على المصير للصاعد، فكلمنا قست الناس في مقاييس الدنيا تقع في وهم كبير، وكلمنا قست الناس بمقاييس الآخرة تقع في توازن عظيم، من هنا قال عليه الصلاة و السلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((رَبِّ أَشَعَّتْ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

قد تجد إنساناً في أدنى مرتبة اجتماعية لكنه موصول بالله، الله عز وجل يتجلى على قلبه وهو يقنع برحمة الله، وهو معتقد أن له عند الله شيئاً، يوجد بهذا الإنسان أمن وسعادة وطمأنينة وتوازن واستقرار وراحة لو وزعت على أهل بلد لكفتهم هذا كله من قوله تعالى:

﴿قَدَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾

[سورة الطور الآية: 45]

لذلك كفاك على عدوك نصراً أنه في معصية الله، لو لم تنتصر عليه في الدنيا، لو قهرك وهدم لك بيتك كلها وقتل ومثّل وقال: أنا أدافع عن نفسي، قتل الألوفاً من أناس لا علاقة لهم بالموضوع إطلاقاً،

موضوع مفتعل، تهمة باطلة، حقد دفين، قتل مئات الألوف و دمر كل شيء ولأنه قوي مسموع كلامه قال: أنا أَدافع عن نفسي، ولم يكن على حق الذي مات مات في أجله والذي لم يموت لا بد من أن يموت أين الفوز؟ أن تكون في طاعة الله:

﴿قَدَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾

[سورة الطور الآية: 45]

الخبر لا يحتمل، أنا أعلم أن هناك أخباراً كثيرة أودت بأصحابها، موت مفاجئ سمع الخبر لم يحتمل فصعق وقع ميتاً، هناك كثير من الحالات الخبر الذي يتلقاه الإنسان لا يحتمله فيموت من هوله، لكن خبر الدنيا الدنيا محدودة أما الصعق الحقيقي يوم يكتشف الإنسان أن مصيره في النار لذلك:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَّيْسَ لَهُمْ صَوْلَةٌ وَلَا تَحْسَبُهُمْ فِي الْيَوْمِ بِغِيَابِهِمْ أَهْلًا وَلَا يَخَافُ اللَّهُ عَذَابَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية: 12]

مهما رأيت كافراً مستعلياً ومستكبراً ومتغرساً ومتحدياً، مهما رأيت هذا الكافر إن رأيت به عين البصيرة تشفق عليه لجهله ولمصيره الأسود، فالبطولة أن تكون على الحق، البطولة أن تكون محسناً، البطولة أن تكون مؤمناً، البطولة أن تعرف الله، البطولة أن تكون مستقيماً على أمره، البطولة أن تكون مهتدياً بهدي نبيه، هذه البطولة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

ابتغ الرفعة عند الله:

النبى مرة وقف بصحابي فقير جداً قال له:

((أهلاً لمن خبرني جبريل بقدمه - هذا الصحابي لم يصدق معقول من أنا؟- قال: أو مثلي؟ قال: نعم يا

أخي، أنت خامل في الأرض علم في السماء))

قد تجد إنساناً عادياً بوظيفة عادية ضارب آلة كاتبة، قد يكون حاجباً، لكنه يخاف الله، قلامه ظفره تساوي مليون رجل من وجهاء الدنيا، يوجد مقاييس بالدنيا صارخة لكن المؤمن يقيس بمقاييس القرآن. سيدنا بلال كان عبداً وكان يعذب كل يوم من قبل سيده أمية بن خلف، وبالمناسبة طرفة معهد شرعي عامل تمثيلية باحتفال، تمثيلية بسيطة بين سيدنا بلال وبين أمية بن خلف، الذي أخذ دور أمية بن خلف طبعاً عنده حوار يحفظه فكان يضرب زميله الذي يمثل دور بلال بسوط ويقول له: لن أرفع عنك العذاب حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه و سلم، دور غير متقن:

﴿فَدَّرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾

[سورة الطور الآية: 45]

ذرهـم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون، فالعبرة أن يكون لك عند الله مقعد صدق، لا تعباً بالمظاهر الصارخة، يوجد غنى صارخ، يوجد مركبات صارخة، يوجد بيوت فخمة جداً، يوجد ولائم، يوجد قصور، يوجد فنادق، يوجد شركات ضخمة، العبرة أن تكون طائعاً لله .

ذكرت هذا مرات كثيرة، كنت مرة في مؤتمر في المغرب، وفي أفرح فندق في العالم، مع وقت الفجر سمعت تلاوة قرآن تذيب القلب، نظرت من شرفة الغرفة فإذا عامل حديقة يصلي الفجر في أرض الحديقة يبدو أنه موصول بالله عز وجل، شعرت لعل هذا الرجل الذي هو مستخدم في فندق يكون له مقام عند الله يفوق كل المؤتمرين، كل هؤلاء الأسماء الكبيرة التي في الفندق . على كل ابتهوا الرفعة عند الله .

اصبر لحكم ربك فإن الأمور تجري بمقادير:

الآية الثانية:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

[سورة الطور الآية: 48]

أقول أنا كلمة حديثة أنا أأحترم كلام الله عز وجل، بالأحداث الأخيرة الله له القرار، توقعنا شيء و كان شيء، الذي كان غير متوقع إطلاقاً وتمنينا على الله أن يذل هذه الدولة العظمى، أن يذل كبرياءها، القرار كان غير ذلك، وظهرت في العالم أنها هي المسيطرة و أن أمرها هو النافذ، هذا قرار الله عز وجل، لا يمكن أن تفعل شيئاً ما أأراده الله عز وجل، فتفتك بالله عز وجل و بحكمته وعلمي بقصور تفكيري وقصور إدراكي وضعف رؤيتي، أنا مستسلم لله، فقال له:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

-هذا قرار إلهي، طبعاً يوجد عندنا بالسيرة مثل، في صلح الحديبية الاتفاقية مهينة و الأصحاب كانوا أقوياء، كانوا في أوج قوتهم، أي عملاق الإسلام اختل توازنه سيدنا عمر قال له:

عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ:

((أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ فَقَالَ: كُنَّا بِصَقِينٍ فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ، فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حَنْبَلٍ: اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ يَعْني الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُشْرِكِينَ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا وَتَرْجِعُ

وَلَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا؟ فَقَالَ: يَا بْنَ الْخَطَابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا فَرَجَعَ مُنْعِظًا فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: يَا بْنَ الْخَطَابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ))

لم يتحمل عمر فراجع رسول الله، قال له: إني رسول الله، أنا معي تعليمات من الله، التقى بسيدنا الصديق قال له الكلام نفسه، لو تقرأوا السيرة ظهر خير من بنود الاتفاقية التي رآها الصحابة مهينة لا يعلمه إلا الله، والله يظهر خير من هذه الأحداث التي وقعت في الحادي عشر من أيلول والله لا يعلم أبعادها إلا الله، و إن كان الشيء الظاهر سيء، لكن الإسلام كان طي الكتمان قفز إلى بؤرة الاهتمام، إحصاء قرأته في موقع معلوماتي أربع وعشرون ألف إنسان دخلوا في الإسلام من الحادي عشر في أيلول حتى الآن، ما هذا الإسلام؟ قد نخسر معركة لكن الحرب لا نخسرها إن شاء الله لأن الله عز وجل:

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾

[سورة التوبة الآية: 33]

والله من قبل عشرين أو خمس و عشرين عاماً الإسلام خارج اهتمام البشر كلها إلا المسلمين طبعاً، أما الآن الإسلام هو القضية الأولى، لا يوجد خبر الآن إلا محوره الإسلام ، قد يكون هناك تهجم، قد يكون هناك افتراء، قد يكون... لكن شيء يهتم به، فأنت لا ترى إلا الظاهر لعل الله سبحانه وتعالى يخبئ لنا انفراج أو هداية أو تعريف بهذا الدين العظيم ، فهذه الآية:-

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

-يوجد معنى دقيق أرجو أن أمكن من توضيحه: أحياناً الأب يعاقب ابنه، يؤدبه لكن قلبه يتفطر ألماً بما يفعل، لكن هذا الذي فعله لا بد من أن يفعله، فالابن يظن أن الأب تخلى عنه ، لا لم يتخل عنه لكن الأب حكيم ورحيم ولا بد من معالجة هذا الابن، لا بد من معالجته ، شخص منا لو عنده ابن يحبه حباً جماً ووجد بيده مبلغاً ليس له، سرقه من رفيقه يمكن أن يظل الأب ساكتاً؟ يمكن أن يبتسم له؟ ممكن أن يسكت؟ ممكن يعفي عنه؟ لا يمكن، لا بد من إحداث خبرة مؤلمة لا بد من أن يضربه، الطفل بريء يكون أنا لا أسميها سرقة، تصرف غير منضبط فأنا موقن أن الأب حينما يضرب ابنه وقد تلبس بعمل لا بد من التأديب عليه قلب الأب يتفطر حينما يضرب ابنه لكن لا بد من أن يضربه، هذا المعنى لعله يستنبط من قوله تعالى:-

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا

[سورة الطور الآية: 48]

رحمة الله تمثلت في هذه الكلمة، أحياناً تكون أم جالسة في حديقة ولها ابن صغير قدر ما تكلمت معها عينها على ابنها، هي تكلمها وحديث مهم ليست معها بل هي مع ابنها، هذا يقع، اهتمامها بابنها، أين

يمشي؟ ابنها في عينها أي في مركز اهتمامها، في مركز رحمتها ، في مركز رعايتها، إنسان أحياناً يصاب بمرض قريب من الله.

((يا داود مرضت فلم تعدي؟ قال: كيف أعدك وأنت رب العالمين؟ قال: مرض عبدي فلان فلم تعده،

أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده))

لو الله ساق لإنسان مرض أو مشكلة أو فقر أو سجن أي يوجد بأعلى درجة من الرعاية وحسن الظن بالله ثمنه الجنة، هذه الآية سمعت أن إنساناً دخل السجن ظملاً وتأثر تأثراً بالغاً فنام فرأى رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول له:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية: 48]

هذه آية جبر خاطر لكل مؤمن، لو كنت في ضائقة، لو كنت في مشكلة، لو كنت تعاني من قضية صعبة، هذا قرار إلهي، الله عز وجل أراد أن يسوقك إليه سوقاً، وضعك في ظرف صعب من أجل أن تقبل عليه، قد يغلق لك كل أبواب الأرض يفتح لك باب السماء فقط من أجل أن تتضرع إليه:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية: 48]

لذلك: إن الله مع كل قلب حزين.

الحزاني في كنف الله.

الحزاني معرضون للرحمة.

الإنسان إذا انكسر الله معه لأنه أعطاه دواء مرأً والله يتمنى عليه أن يصبر قال له:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية: 48]

إذا أب طبيب أسنان يعالج ابنه و تقتضي المعالجة ألا يعطيه مخدراً و صرخ فأتثناء حفر الضرس يقول له: طول بالك تحملني قليلاً، الأب يعلم أنه يوجد ألم شديد تقتضي حالة هذا الابن ألا يعطيه مخدراً والابن يصرخ يقول له: تحملني سوف ننتهي أطل بالك:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية: 48]

لا ننسك، أنت محل اهتمام ورعاية وإكرام، لا تظن إذا الله عز وجل حرم إنساناً شيئاً أو ساق له مرضاً، أو بعث له مشكلة، إن الله نسيك، بالعكس يكون بهذه الحالة بأعلى درجة من الاهتمام:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية: 48]

يوجد حديث قدسي يذيب القلب يقول الله عز وجل:

((ما ترددت -الله يتردد و لكن تعويض عن المحبة- في شيء أنا فاعله تردي في قبض عبيد

المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته))

مهياً له حياة ناعمة في الآخرة والدنيا متعبة والله سيسوق له سكرات الموت فإذا الله منحك السعادة، منحك الأمن، منحك القرب، هذا العطاء الحقيقي لذلك الآية إذا شخص -لا سمح الله ولا قدر- أصابه شيء يكرهه يقرأ هذه الآية:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية: 48]

وقد يتوهم الإنسان أن هذه الآية لرسول الله، كل آية موجهة إلى النبي هي حكماً موجهة لكل مؤمن بقدر استقامته وإخلاصه وورعه:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية: 48]

إنسان أحياناً يحب أن يمسك يد ابنه ويقربه على الساقية وهي عميقة لأنه مستحيل أن يفلت يده، فالطفل يخاف لكن مكانة الطفل عند أبيه لا يمكن أن يتركه، لا يتخلى عنه، كيف نحن وضع المسلمين الآن يبدو أن الله تخلى عنا، كلا لا يتخلى، لا يمكن أن يتخلى الله عنا لكن يؤدبنا، ويريد منا أن نكون على غير ما نحن عليه، أن نحب بعضنا، أن نتعاون، أن نكون مسلمين حقيقة، ملتزمين، يكون إسلامنا صارخ بمعاملتنا وليس بعياداتنا، بالعيادات الإسلام صارخ، تجد إسلاماً فلكلوريا عندنا، أسمع قصصاً ما أنزل الله بها من سلطان، فلذلك:

أيها الأخوة، إذا شخص أصابه خير فليحمد الله، إذا أصابه شيء آخر هو مؤمن بالله ليقول: واصبر لحكم ربنا فإنك بأعيننا، لن يتخلى الله عنه .